المحاضرة الأولى : ماهية علم النفس الاجتماعي

عناصـــر المحاضـــرة: توطئة – تعريف علم النفس الاجتماعي- ميادين البحث في علم النفس الاجتماعي- التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي وأهم الرواد المساهمين فيه- أهداف علم النفس الاجتماعي – السلوك الاجتماعي – علاقة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الأخرى .

أهداف المحاضرة: في نهاية هذه المحاضرة يكون الطالب قادرا على أن:

- معرفة علم النفس الاجتماعي
- يتعرف على ميادين ميادين البحث في علم النفس الاجتماعي
- يتعرف عل التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي وأهم الباحثين المساهمين في هذا التطور
- يتعرف على أهداف علم النفي الاجتماعي .
- يتعرف على علاقة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الأخرى.

توطئة:

يعتبر علم النفس الاجتماعي، تلك الدراسة التي تقدم المفاهيم، والمناهج، والنظريات العلمية الأساسية في تحليل الظواهر السلوكية، والمحاولة العلمية في فهم جوانب من العلاقات لدى الأفراد في الحياة الاجتماعية، كما يهتم أيضا بدراسة السلوك الاجتماعي للفرد في الجماعة ودراسة سلوك الأفراد فيما بينهم داخل الجماعة الواحدة أو بين جماعة وجماعة، من حيث أنه استجابة كلية أو جزئية في موقف معين، ويسعى أيضا إلى البحث عن الاسس والمرجعيات النفسية والاجتماعية التي تتحكم في سلوك الافراد من حيث تأثرهم وتجاذبهم فيما بينهم ومحاولة فهم أهم القوانين الأساسية التي تنظمه، وعليه فقد عرف علم النفس الاجتماعي بمحاولات مختلفة ومتعددة من طرف الباحثين، كونه تلك الدراسة التي تهتم بدراسة تجاذب الافراد فيما بينهم"(محي الدين مختار، 1982، ص.47)، ومحاولة فهم أسس التجاذب والتنافر، التعاون والعدوان، التجمهر والانعزال، العنف والتعصب ودراسة سلوك الفرد الاجتماعي وتغيراته في الجماعة وأثرها عليه بحضورها الرسمي وغير الرسمي في حياة الفرد.

1. تعريف علم النفس الاجتماعي : يعرف دينكن منتشـــل **Dinkin Mintchel** "علم النفس الاجتماعي أنه العلم الذي يدرس الافراد في وقت تفاعلهم وعلاقاتهم مع بيئتهم الاجتماعية، أي أنه العلم الذي يدرس حالة الأفراد النفســـية وأثر العلاقات والتفاعل الاجتماعي فيها"(محي الدين مختار، نفس المرجع، ص.47)

ويرى أتو كلينبرغ **Otto Klineberg** هو الآخر أن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس فعاليات الفرد من حيث هو متأثر بأفراد آخرين يســـتطيعون أن يحدثوا أثرهم فيه إما بشـــكل فردي، وإما كرهط، ويمكنهم أن يؤثروا، إما بصورة مباشرة عن طريق وجودهم في تجاور مباشر مع الفرد، وإما بصورة غير مباشـرة من خلال صـيغ السـلوك التقليدية، أو المتوقعة بين الناس، التي تؤثر في الفرد حتى لو كان وحده، سواء عمل بصورة إيجابية أو سلبية"(مرجع سابق، ص.47)، أما بارسون **PARSON** 1951 فاعتبر علم النفس الاجتماعي بأنه العلم الذي يهتم بدراسة توقعات الفرد وتنبؤاته لسلوكه وسلوك الآخرين نحوه في موقف ما"(محي الدين مختار، 1982، ص.47)

وحسب هوللندر **Hollander** 1971 "أن علم النفس الاجتماعي احد الميادين العلمية التي تهتم بدراسة سلوك الانسان دراسة موضوعية وهو العلم الذي يهتم بالفرد كشريك في العلاقات الاجتماعية والأحداث المؤثرة فيه"(محي الدين مختار، 1982، ص.47)

لقد تعددت التصـــورات النظرية لمفهوم علم النفس الاجتماعي وتراكمت في تاريخ علم النفس الاجتماعي منذ نشأته الحديثة بأعداد لا نظير لها في العلوم الاخرى، وهذا نظرا للخصوصية والمكانة التي يحتلها هذا العلم بين العلوم، هذا من جهة ومن جهة أخري يرجع هذا الزخم الكبير في التصـــورات النظرية لعلم النفس الاجتماعي إلى تنوع موضوعاته وتطور بحوثه ودراساته العلمية.

2. ميادين البحث في علم النفس الاجتماعي

- البحث في الفرد في حد ذاته من خلال محاولة فهم طبيعة مرجعيات التكوين المعرفي والنفســـي كالاتجاهات والتصورات والاعتقادات الفكرية، الحب، الانسحاب، ومدى أثر الجماعة في تكوين هذه الاطر وتمثلها الرسمي وغير الرسمي في حياة الفرد.

- البحث في علاقات الافراد فيما بينهم داخل الجماعة، ومحاولة فهم طبيعة تأثر الافراد ببعضـــهم داخل الجماعة كدراسة كيفية اتخاذ القرارات والتنافس والصراع والتجاذب والتنافر.

- البحث في علاقات الجماعات فيما بينهم من خلال تفسير طبيعة الثقافة الرسمية وغير الرسمية التي تتحكم في سلوك الافراد كالتعصب، الهجرة، العنف، والجريمة المنظمة.

3.التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي:

1.3أهم المساهمين الفلاسفة في موضوعات علم النفس الاجتماعي: إن أولى بوادر الاهتمامات الفلسفية بموضوعات علم النفس الاجتماعي نلمسها في أعمال بعض الفلاسفة نذكر منهم:

ابن سينا: حاول اظهار أن أساس المرض النفسي هو السلوك الاجتماعي، اذ اشار هذا الأخير في العديد من أعماله إلى أثر الجماعة في سلوك الفرد وعلاقة الفرد بالآخرين، وعلاقة الجماعة بتقدير الذات لدى الفرد وأثر الجماعة على الصحة النفسية والجسدية لدى الفرد، وبين أهم الاسس النفسية والاجتماعية للمرض الجسدي ودور الجماعة في المرض والعلاج، وركز على أهمية تقدير الذات المكتسبة من خلال تصور الآخرين وعلاقتها بالمرض وقد أشار في كتابة الاصل والعودة إلى أن احدى جواري الملك التي كانت منحنية للأسفل وذلك لرفع أدوات المائدة وضيوف الملك جالسون حول، فأصيبت هذه الاخيرة بروماتيزم مفاجئ في المفاصل، وصارت غير قادرة على أن تأخذ الوضع الطبيعي لجسمها منذ ذلك اليوم، ولم يستطع أشهر الأطباء فعل شيء حيالها، ثم رجعوا إلى ابن سينا في علاجها، واعتبر هذا الاخير أن سبب مرضها هو نفسي، فجعل انفعال الخجل هو أحد العوامل المساندة في العلاج، فبدأ يرفع ملابسها بادئا بالرفع من الاسفل الى أعلى الخمار، مما أتيح هذا الأمر لدى المريضة انفعالا مضادا نتيجة لرفع ملابسها، حينها أوقف المزاج الروماتزمي فوقفت معتدلة كما كانت وشفيت من مرضها"(فؤاد البهي السيد، بدون سنة، ص.26)

ابن حزم: هو الآخر من أهم الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بموضوع الحب وهو موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي، وأعطى له أهمية كبيرة من الشرح والتفسير في ماهيته وأسسه النفسية والاجتماعية، حيث عرفه على أنه" اتصال أو اتفاق بين النفوس في عالمها السابق قبل حلولها في الأجساد، فالنفوس التي اتصلت واتفقت مالت في الحقيقة الى بعضها البعض، ويقول أن الحب هو اتصال بين أجزاء النفوس في أصل عنصرها الرفيع، على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها، وسر التمازج والتباين بين المخلوقات هو الاتصال والانفصال، والشكل دائما يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد، والنزوع فيما تشابه فيما بينها، والنفس مهيأة لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفور، وكل ذلك معلوم بأحوال الفطرة، فالنفوس المتشابهة تميل إلى المشاركة والمجاورة والتجاذب له

كالمغنطيس والحديد، فلا يتحابان اثنان إلا اذا كانت بينهما مشـــاكلة واتفاق في الصـــفات الطبيعية وكلما كثرت الاشباه زادت المجانسة تأكد التجاذب والحب"(عثمان نجاتي، 1995، ص.151)

توماس هوبز Thomas Hobbesمن بين أهم الفلاسـفة الغربين الذين تحدثوا وفسـروا وشـرحوا طبيعة الفرد في علاقته مع الآخرين، وبينوا أن كل الافراد متسـاوون في الطبيعة وليس لديهم رغبة في التجمع بل هم في سـعي دائم لتدمير بعضـهم البعض، وأكد هوبز أنه لفهم بنية المجتمع ككل يجب علينا أولا أن نفهم بنية الأفراد النفسـية وتركيبتها كفهم رغباتهم وانحرافاتهم التي تقودهم الى الصـراع مع الأفراد الآخرين، ويرى هوبز أن كل فرد لديه الرغبة السرمدية حد الموت في التسلط والسلطة، والرغبة الفطرية والدفينة في التحكم في سـلوك الاخرين، إذ أن هذه الاخيرة تسـمح له بالتحكم في مسـتقبل الاخرين وتعطيه الدافعية للنجاح والبقاء من خلال الاعتداء والعدوان والتميز الجســدي والفكري المتعالي عن الآخرين الذي يجذب له الغنى والحظ والمكانة العالية بينهم، لذلك نجد الفرد في محاولة وصراع مستمر لإخضـاع الاخرين لسلطته وقوته وارادته من أجل الحفاظ على البقاء " (G.Stoetzet, 1984,p.15)

جان جاك روسـو J.J. Rousseau حاول روسـو من خلال كتابه العقد الاجتماعي إلى اظهار حقيقة العلاقة بين الفرد ومجتمع وأثر هذا الاخير في تغير طبيعة الفرد الخيرة وافســادها من خلال ممارســات التربية الفاســدة عليه من طرف المجتمع، ونادى في كتابه "اميل" الرجوع الى الطبيعة في تربية الأبناء وبين أن المجتمعات البشرية ليست هي الطبيعة الحقيقية وليست أساسية في اعداد الفرد الصالح، إنما هي دائما ضـد الطبيعة الانسـانية الخيرة، وأن تدخل المجتمع في نشـأة الفرد هو ما يفسـد تلك الطبيعة الخيرة الأولية في الانســان، ويعد روســو أول من أشــار الى التحريفات والتغيرات النفســية التي يلحقها المجتمع بالطبيعة الخيرة للإنسـان، كما بين من خلال أعماله، أن هو من يخلق الفروق ولا مسـاواة بين الأفراد، لأن الافراد في الحقيقة يولدون متقاربين ومتشــابهين في حاجاتهم المختلفة، لكنهم يختلفون بعد ذللك بالفعل الاجتماعي، كما يعد روسـو أول من أشـار في كتابه العقد الاجتماعي إلى مفهوم الشـخصـية وأثر الفعل الاجتماعي في تكوينها، وبين أن المجتمع عندما لا يحترم الطبيعة الخيرة في الانسـان، هو أصـل سـلوك الافراد غير السوي والمسؤول الوحيد عن سلوك الفرد المتوحش.(Ibid, 1984,p.15)

2.3 أهم العلماء المساهمين في تطور علم النفس الاجتماعي

*** دوركايم Durkheim** : اختلف Durkheim في مسـاهمته العلمية لتفسـير ظاهرة الانتحار في أوروبا، التي كانت تحمل إضاءة حاسمة حول فهم طبيعة، ووظيفة المجتمع بالنسبة للأفراد من خلال طرق البحث العلمية الحديثة، وبّين في دراســته أن المجتمع هو تلك الحقيقة الكامنة وراء الفعل الاجتماعي، ومجموع

الخصائص والطرق القانونية التي تهبه القوة والسلطة في اكراه الأفراد لسلطته والتفكير والعمل على تكوين الشعور المطلق للفرد بتبعيته له، فالحياة الاجتماعية حسب دوركايم ترتكز في الحقيقة على مجموع التصورات والعمليات العقلية والنفسية للأفراد، ومن ثم يظهر علم الاجتماع حسب تصوره كعلم نفس خاص يهتم بدراسة نفسية الأفراد وتحليل سلوكياتهم حسب مزاعمه.

لقد كان تحليل وتفسير دوركايم لوظيفية للمجتمع، مرجعية علمية مغذية ومفسرة لفهم حقيقة سلوك المرض والسواء في المجتمع، وتعد دراسته لظاهرة الانتحار مرجعية نظرية هامة لفهم حقيقة عوامل وأسباب الظاهرة الاجتماعية انطلاقا من تحليل نفسية الفرد وعلاقته الاجتماعية بالآخرين ، اذ بينت وأظهرت هذه الدراسة، كيف أن الأفراد ينهون حياتهم ويحدون من سلوكياتهم وذلك كله من خلال تصورات اجتماعية مكتسبة من الجماعة التي ينتمون اليها، وبينت احصائيات الدراسة أيضا، أن هناك عوامل فردية ذاتية أخرى تعود الى طبيعة تكوين الفرد ونشأته الاجتماعية هي الأخرى تتحكم في ظاهرة الانتحار لدى الأفراد في أوروبا مثل الأنانية التي يتميز بها الفرد، وضعف اندماجه الاجتماعي وضعف العلاقة الاجتماعية بين الفرد وجماعته التي ينتمي اليها(G.Fisher, 2009,p.9)

* قبريل **تارد G.Tard** حاول تارد **Tard** في أبحاثه الاجابة عن سؤال هام في علم النفس الاجتماعي، ألا وهو لماذا سلوك الفرد في مظاهره العامة عندما يكون داخل الجماعة أو عندما يتصل بالجمهور لا يكون هو نفسه عندما يكون في معزل عن الجماعة أو الجمهور، وقد حصر تارد إجابته بعد أبحاثه الطويلة عن هذا الموضوع في أن هذا التغير يعود في حقيقته إلى تقليد الفرد للأخرين داخل الجماعة التي ينتمي إليها، وعرف التقليد على أنه مجموع المعرف العقلية للحقيقة الاجتماعية، والتقليد الاجتماعي هو الآلية النفسية الاجتماعية الاساسية لدى الفرد لتفسير وفهم الواقع والتكيف معه.(Ibid, 2009,p.8)

*** جوستاف لوبون G.Lebon** يعتبر Lebon أول من طور نظرية علم النفس الاجتماعي، وهي نظرية سيكولوجية الجماهير، أين بين وبين فيها أن الحشد يتألف من عناصر أفراد متلاحمة ومتماسكة أثناء تجمع ما، يتلاحمون ويتضامنون فيما بينهم كتلاحم الجسد الواحد من اجل الدفاع والحفاظ على بقائهم، ويظهر هؤلاء الافراد في تلاحمهم وتجمعهم، خصائص سلوكية، تختلف اختلافا تاما عن خصائصه السلوكية عندما يكون في معزل عن هذا الحشد، كاختلاف الخلية في خصائصها الحيوية عندما تكون في معزل عن خلايا الجسم الأخرى.

إن الجمهور أي الحشد يمنح الأفراد مجالا وحيزا لاستخراج روح الجماعة التي يشعرون بها ويفكرون فيها، إن التفكير في اختلاف الأشكال السلوكية لكل فرد داخل الحشد وفي معزل عنه، هو ما

دفع Lebon إلى ملاحظة هذه الظاهرة السلوكية ومقارنتها في كلتا الحالتين واستخراج خصائصها والعوامل المؤثرة في ذلك التغيير وتحليل سلوك الفرد والعوامل النفسية والعقلية المؤثرة فيه داخل وخارج في الجماعة والمحددة لسلوكه(Ibid, 2009,p.18)

* **شارلز فوري Charles Fourier** يعد شارل فوري من بين أهم أعلام علم النفس الاجتماعي المغمورين، ومن بين العلماء الجادين في تفسير السلوك الاجتماعي الذين لم تسلط عليهم البحوث والدراسات العلمية اهتماماتها، ولم تهتم كثيرا بأعماله وبقيت أعماله هامشية وقليلة التأثير، أي بصورة أخرى ذات تأثير غير مباشر في موضوعات علم النفس لوقت طويل من الزمن إلى يوما هذا، رغم أنّه من أولى الباحثين الذين تنّبهوا إلى موضوعات علم النفس الاجتماعي، من خلال نظرية الوحدة المتكاملة للمحفزات الأربعة، حاول فيها اعطاء تعريف اجتماعي للحدس وأهم العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة في نظام حدس الفرد، اذ حاول من خلالها البحث في نظام اجتماعي يبرر دراسة الانسان في بيئته الاجتماعية، إلا أن محاولاته الفلسفية الأولى باءت بالفشل في البحث عن الأسس الاجتماعية للحدس ليتحول بعد ذلك إلى دراسة الانفعالات والرغبات وحاول وضع قائمة تتكون من 12 رغبة كمرجعية أساسية لتفسير سلوك الانسان، خمسة منها أساسية تتعلق بالأحاسيس الأولية (كالإحساس لذوق، الرؤية، السمع، الرائحة) وهي تتعلق بالحفاظ على البقاء، وأربعة منها تتعلق بدوافع الحياة هي (الحب، الطموح، الصداقة، العاطفة) تتعلق بالانتماء والتكيف الاجتماعي، وثلاثة منها تتعلق بتوزيع الطاقة والمذهب السلوكي الشرير(الخداع، الحيلة، والرغبة في التغير والتقدم) في الآلية الاجتماعية، اذ تعتبر الرغبة الأخيرة بالنسبة للفرد الأعلى والأهم والأكثر رغبة وأهمية من بين كل الرغبات الأخرى، وقد أكد Charles Fourier على أهمية التنشئة الاجتماعية في توجيه هذه الرغبات وتصحيح مسارها[3]. (G.Stoetzet, 1984,p.17)

* **ماك دوجال M. Dogal** يعتبر M. Dogal اول عالم في علم النفس الاجتماعي يصدر مؤلف بعنوان علم النفس الاجتماعي وذلك سنة 1908، بين فيه علاقة الطبيعة البشرية المتمثلة في الغرائز وتوجيه السلوك الاجتماعي لدى الفرد متجاهلا أثر العقل الجمعي عليه[4].(Ibid, 1984,p.24)

* **فرويد S.Freud** لم يشير فرويد في أعماله مباشرة إلى موضوع علم النفس الاجتماعي ، لكن في الحقيقة أن بعض منها كانت تحمل في طياتها محاولاته العلمية الجادة في فهم و تفسير علاقة بعض الظواهر النفسية بالجماعة و تحليلها تحليلا سيكولوجيا، مستندا في تبريره على حقيقة أن " حياة الفرد هي عبارة عن نموذج كامل مختزل فيه حياة الجماعة (V.AbischerD.Oberlé, 2012,p.16)

الا أن مرجع الطوطم والحرام، يعتبر من أهم وأعظم أعمال فرويد، الذي تختزل فيه اتجاهات علم النفس الاجتماعي الحقيقية، ومرجعا أساسيا و هاما في تفسير الظاهرة الجماعية انطلاقا من التحليل النفسي لبنية الفرد، بالإضافة الى هذا المرجع نعتبر بدورنا أن مرجع القلق و الحضارة أيضا من بين أهم الأعمال التي حاول فيها فرويد تفسير السلوك العدواني والحروب خلال الحضارات انطلاقا من أسس نفسية في الفرد.

5.أهداف علم النفس الاجتماعي:

- الاهتمام بالفرد كونه كائن اجتماعي تربطه علاقات تفاعلية بالأخرين(Ibid, 2012,p.21)
- الاهتمام بالفرد كونه يؤثر ويتأثر بوجود الاخرين
- الاهتمام بديناميات التفاعل الاجتماعي(Ibid, 2012,p.23)
- الاهتمام بمبادئ وأسس وقوانين السلوك الاجتماعي
- الاهتمام بتفاعل الجماعات فيما بينها"(محي الدين مختار،1982: ص.45)

6. السلوك الاجتماعي: هو تلك الاستجابة الكلية التي يبديها الفرد امام موقف أو مثير بيئي خارجي

1.6المحددات النفسية للسلوك الاجتماعي: الحاجات، الغرائز، الدوافع، الانفعالات.

2.6المحددات الاجتماعية: الدور، المكانة، الاتجاهات، ، التصورات الاجتماعية، التنشئة، الجماعة، الاسرة، المؤسسات، الرفاق

3.6المحددات المعرفية: الادراك، العمليات العقلية.

4.6المحددات الثقافية: القيم، المعايير، الثقافة، التاريخ المشترك

7.علاقة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الاخرى:

- **علاقة علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع** : يهتم علم النفس الاجتماعي بالسلوك الاجتماعي للافراد بينما يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية

- **علاقة علم النفس الاجتماعي بعلم الانثربيولوجيا:** علم الانثربيولوجيا يهتم بدراسة الثقافات و الحظارات المختلفة من خلال معرفة السلوك الاجتماعي لتلك الجماعات استطعنا التعرف على ماهية تلك الجماعات
- **علاقة علم النفس الاجتماعي بعلم النفس الفسيولوجي** : حيث ان علم النفس الفسيولوجي يهتم بدراسة وظائف الاعضاء مثل الغدد الصماء وافرازاتها وما تؤثر به على الشخصية وكذالك فس سلوك الافراد الذين هم عضاء بالجماعة
- **علاقة علم النفس الاجتماعي بعلم نفس النمو**: حيث ان علم نفس النمو يهتم بدراسة تطور سلوك الفرد بدءا ن مرحلة الجنين مرورا بمرحلة الطفوله و المراهقة و الرشد حتى الكهولة ويهتم علم النفس الاجتماعي بعملية التنشئة الاجتماعية وكيفية تفاعل الفرد مع بيئته
- **علاقة علم النفس الاجتماعي بعلم الصحة النفسية:** حيث ان الصحة النفسية تعتمد على مدى قدرة الفرد على التكيف مع نفسه وظروفه التي يحيى فيها حيث ان البيئه الاجتماعيه وما يتمثل فيها من متغيرات تؤثر على الصحة النفسية وهذا ما يهتم فيه علم النفس الاجتماعي وما يتعلق بعملية التكيف الاجتماعي و الاسباب التي تؤدي الى عدم التكيف وبعض المشكلات الاجتماعية الاخرى مثل الادمان